الفصل الثالث

جواسيس الحرب العالمية الثانية

عندما أُعلنت الحرب العالمية الثانية رسمياً ضدَّ ألمانيا في ٣ أيلول ١٩٣٩ ، تسلل خمسة من الجواسيس السوفييت البارعين إلى خطوط الدفاع البريطانية دون أن يعلم بهم أحد . ولحسن الحظ ، استطاع عملاء الحلفاء جمع معلومات داخلية سريّة ، ساعدت على هزيمة هتلر والنازيين .

ـ معركة بالمدفعية خلال الحرب العالمية الثانية .

أيام حالكة مَرت على الاستخبارات العسكرية :

كان فيرون كيل ـ الذي يعود إليه الفضل في إلقاء القبض على جواسيس القيصر في بريطانيا عام ١٩١٤ ـ ما يزال يعمل لدى مكتب مكافحة الجاسوسية العسكرية في عام ١٩٣٩ ، وإن أصبح الآن جنـرالاً يعمل بإمرته ٦٠٠٠ عميل . وبدا واضحاً أنه ما زال واقفاً على قدميه ؛ رغم أنّ الحكومة كانت تحاول باضطراب استرضاء هتلر . طوّق رجال مكافحة الجاسوسية العسكرية ، صبيحة إعلان الحرب ، حوالي ٦٠٠٠ مشتبه وألقت بهم في السجن . لكنّ الألمان تعلموا من درس عام ١٩١٤ ، ففي ٨ تشرين الثاني ١٩٣٩ ، وجّهوا ضربة قويّة شلّت العمليات الأوروبية لسلاح الجاسوسية البريطاني الآخـر ـ الإستخبارات العسكرية .

شهدت الأشهر الأولى من الحرب هدوءً غريباً على كِلا جانبي القنال . واحتاج وايتهول وقتاً أطول ليستعد للقتال ، في الوقت الذي كان أمل هتلر فيه أن يصل إلى اتفاق مع لندن بحيث تتنحى بريطانيا جانباً بينما يحقق هو حلم السيطرة على أوروبا . وفي نفس الوقت ،كان بعض النازيين من قادة جيشه على اتصال بوزارة الخارجية في لندن ؛ يناقشون إمكانيات السلام إذا تمكنوا من الإطاحة بهتلر ـ كما كان البابا أحد الساعين للوفاق بين الطرفين في هذه المباحثات الدقيقة . وفي شهر تشرين الأول ، أرسل العملاء البريطانيين العاملين في هولندا تقارير تفيد بأنّ اثنين من الألمان أرادا مناقشة موضوع القيام بانقلاب ضد هتلر ، فأعطى السير ستيوارت مينزيز رئيس الإستخبارات العسكريّة موافقة متحفظة على الإتصال .

وقيل بأن هذين الألمانيين كانا الكابتن شايمل ـ من فيلق النقل ـ والكابتن هاوسمان ـ طبيب عسكري . والتقاهم العميلين البريطانيين ، الميجور ريتشارد ستيفنز والكابتن زيغزموند باين بيست ، في آرنهيم . ثم انتقلوا إلى امستردام لاستكمال المحادثات وحدّد الألمان بنود الاتفاق في حال الإطاحة بهتلر عن سدّة الحكم في ألمانيا :

١ ـ تعود كل من النمسا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا إلى وضعها قبل الغزو النازي .

٢ ـ تُعاد إلى ألمانيا جميع المستعمرات التي أخذت منها باتفاقية السلام الموقعة عام ١٩١٨ .

لم يعرف أحد بأنّ واحداً من الألمانيين كان في الحقيقة الجاسوس النازي والتر شيلليينبرغ ، الذي كاد ـ قبل عدة أشهر ـ أن ينجح في محاولة جريئة خطط فيها لخطف دوق ودوقة ويندسور من فيللا في البرتغال . لكنّ الإستخبارات العسكريّة عرفت بأمر المؤامرة في الوقت المناسب ، فاستطاعت أن تتأكد من أنّ الدوق قد ذهب لاستلام عمله أثناء فترة الحرب : كحاكم للباهاما . بدأ شيلليبرغ ، المعادي للنازيّة ، بالتلاعب في أنظمة هتلر ـ في محاولة منه لاكتشاف مدى معرفة بريطانيا بالمؤامرات التي حيكت ضدّ الديكتاتور . وكسب ثقة رجال الإستخبارات العسكريّة ، فأعطوه جهاز لاسلكي ورمز الإتصال ببريطانيا في حالة الطوارىء ـ فضلل العميلين ستيفنز وبيست عندما أشار بأنَّ أحد قادات الجيش كان يُعِدُّ نفسه للسفر إلى انكلترا .

كان مينزيز يقظاً ، فالبنود التي تمَّت مناقشتها في أمستردام كانت مختلفة عن تلك التي ذُكرت في محادثات الفاتيكان السريّة . أخبر ستيفنز وبيست أن يبقوا على حذر . وعلى غير ما كان متوقعاً ، حاول نجار ألماني اغتيال هتلر خلال اجتماع جرى في مخزن بيرة بميونيخ . لكنّ القائد النازي الذي كان قد غادر المكان قبل انفجار القنبلة التي قَتَلت ٦ وجَرحت ٦٠ آخرين . وألقى الديكتاتور الغاضب باللوم فوراً على عملاء الإستخبارات العسكريّة البريطانية ، وأمر شيلليبرغ بأنْ يتخلى عن الدور الذي يلعبه ويخطف العميلين البريطانيين بدلاً من خداعهما ، ثم يحضرهما إلى برلين للتحقيق معهما .

وقع ستيفنز وبيست وجاسوس هولندي آخر في كمين لدى وصوله إلى مقهى فينلو ـ مكان الإجتماع . إذ اقتحمت ثلاث سيارات مرسيدس الحواجز الحدودية ، وساعدهم على اجتيازها فريق من قوات الصاعقة ـ قام بتبادل إطلاق الرصاص مع حرس الحدود الهولنديين . سقط العميل الذي كان مع البريطانيين قتيلاً عندما كان يهمّ بإشهار سلاحه . وأُلقي القبض على ستيفنزو بيست ، ووضعوا في إحدى السيارات التي عادت بهم عبر الحدود باتجاه برلين ؛ حيث قدَّم هتلر وسام الصليب الحديدي لكل من شيلليبرغ وفريق قوات الصاعقة الذي ساعده .

كان للعملية أبعاداً أخرى ، إذ أوقفت بريطانيا المحادثات مع الفاتيكان ـ مخافة أن تتعرَّض بادرتها حسنة النيّة للخيانة هناك أيضاً . وذهبت مساعي بعض الألمان الارستقراطيين الداعين للسِلم أدراج الرياح . عندما تابع رجال الغيستابو[1] بحثهم عن مكائد أخرى . كما فقدت الإستخبارات العسكريّة البريطانية شبكة كاملة كوَّنتها بصبر في هولندا . وتبع كل ذلك أحداث أسوأ . ففي ربيع عام ١٩٤٠ . اجتاحت الجيوش الألمانية دول الأراضي المنخفضة وفرنسا ، وسيطرت عليها بالكامل خلال ٥٢ يوماً . ووقع تحت أيديهم أوراقاً من السفارات فيها تفاصيل أوفى عن عمليات جواسيس الحلفاء . ومع حلول صيف ١٩٤٠ ، اعترف دخيل استخبارات في لندن بعد الحرب قائلاً : «لم يكن لدينا عميل واحد بين دول البلقان والقنال الإنكليزي» .

تمَّ إجبار شبكة الجاسوسية البريطانية على تنفيذ العمليات الدفاعية فقط لمدة عام كامل . كان فرع خاصّ في شبكة الإستخبارات العسكريّة البريطانية يُخطط لتنفيذ عمليات تخريب في حال الغزو النازي لإنكلترا . بينما تابع فرع مكافحة الإستخبارات العسكري ملاحقة الجواسيس ـ المرسلين ليحلّوا محل أولئك الذين تمَّ اكتشافهم ـ وإلقاء القبض عليهم . وكانت مهمتهم سهلة بسبب قلّة كفاءة الجواسيس الجُدد وإفتقار العديد منهم للمؤهلات الضرورية في أعمال التجسس ، فألقي القبض على أحدهم ، ويُدعى كارل ريختر ، قُرب سانت ألبانز في مقاطعة هرتفورد شاير بعد هبوطه بالمظلة في أحد الحقول ـ ولم يكن لديه تفسير مقنع آنذاك لسبب ارتدائه ثلاثة بدلات وزوجين من الجوارب في وقت الصيف الحار . كما تمَّ اكتشاف جواسيس آخرين عن طريق مخطط مكافحة للجاسوسية رائع ، أُطلق عليه اسم «التقاطع المزدوج» .

اعتقل فرع مكافحة الجاسوسية العسكري ، في أوائل الحرب ، المهندس الويلزي جورج أوينز ومعه جهاز إرسال . كانت مهمته تنظيم الطابور الخامس لمساعدة الجواسيس الذين كانوا يهبطون بالمظلات . فسمح رؤساء فرع الإستخبارات لأوين بإرسال البرقيات كما كان متفقاً معه . لكنَّ هذه البرقيات تضمنت معلومات مضللة لخداع الألمان . وقد نجحت هذه الخطّة تماماً . فكلما أعلمت برلين عن أنّ جاسوساً في طريقه إلى بريطانيا ، كانت السلطات بانتظاره

عند وصوله ـ فيُعرض عليه أن يختار بين الشنق أو التعاون . ولا جدال بأن التعقل ، حسب رأي غالبيتهم ، كان أفضل ما في الشجاعة .

وتبين مع نهاية الحرب أن ٣٩ عميلاً كانوا يرسلون حقائق زائفة ملفقة إلى الرايخ[١] . وخدع أحدهم النازيين ببراعة ، بحيث أنفقوا مبالغ طائلة على الأعمال التي قام بها ـ حتى أنهم كافأوه بوسام الصليب الحديدي . قال السير جون ماسترمان ، رئيس اللجنة العشرين (XX) التي أشرفت على العملية : «إن هذا التعليق يعود لعام ١٩٤٥ ، أي في الأيام المظلمة بعد دانكيرك ، إذ لم يكن رجال الاستخبارات في بريطانيا واثقين من أنفسهم تماماً» . وفعلت خدعة جاسوسية أخرى بالمعنويات فعل الأعاجيب . . .

رودولف هيس : الرجل الذي خانته النجوم

صُعِقَ العالم في أيار من عام ١٩٤١ ، عندما ظهر النازي المعروف رودولف هيس فجأة في اسكوتلندا . وزاد من الدهشة معرفة أنه سافر إلى هناك خفية بالطائرة ، بسبب تنبؤات المنجمين لطالعه . لكنْ حسب رأي الكاتب ريتشارد ديكون ، فقد كان هنالك تفسيرآخر أكثر غرابة من سابقه . فقال في كتابه «تاريخ الإستخبارات البريطانية» بأنّ نائب هتلر قد تمّ إغراؤه للقدوم إلى بريطانيا بعملية استخبارات بارعة ، خطط لها إيان فليمينغ ـ مخترع شخصية الجاسوس جيمس بوند الخيالية .

كانت المخاوف من الغزو النازي ما تزال منتشرة في لندن أواخر الأربعينات . واعتقد فيلمينغ الذي كان يعمل لدى الإستخبارات البحرية أنّ «انشقاق» أحد قادة الرايخ البارزين سوف يقلل من احتمال الهجوم . فدرس تقارير عن مساعدي هتلر ، واستقرّ رأيه على نائب الديكتاتور كأكثر الأهداف ملائمة للخداع في هذه الفترة الحرجة . إذ كان معروفاً عن هيس رغبته بمسألة بريطانية . بحيث تتمكن ألمانيا من تركيز هجومها على روسيا . كما كان معروفاً عنه ولعه بالفلك .

شنّ كلا الطرفين حرب تنبؤات نفسية بين أعوام ١٩٣٩ و١٩٤٥ . وقَلَب بول جوزيف غوبلز ـ من وزارة الإعلام في برلين ـ كُلّ التوقعات بمقالات كتبها

- رودولف هيس : Rudolf Hess

(١) - الغيستابو هي الشرطة السريّة أيام النازيّة الألمانية في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن .

(١) - الرايخ هنا يعني الرايخ الثالث وهذا بدوره يعني الدولة النازيّة بين أعوام ١٩٣٩ و١٩٤٥ .

للصحف المحلية والخارجية ، وطبيعيّاً أنّ التنبؤات كلها كانت لصالح هتلر . وردَّت عليها لندن برواية لفقتها الإستخبارات ولاقت رواجاً عالميّاً ـ عن أن الديكتاتور لم يكن سعيد الحظ كثيراً . وتم تهريب نسخٍ مزوّرة من الجرائد الألمانية إلى برلين ، وقد كُتب فيها تلميحات عن قدر القادة النازيين المشؤوم واليأس من نجاتهم ، وتلقّت وزارة الحربية في شارع وايتهول تقارير منتظمة من لاجيء نازي يدعى لويس دي فوهل ـ الذي تَعلَّم أساليب المتنبئين المفضلين عند هتلر ـ عن التنبؤات التي قد تصل لسمع هتلر . كما كان لـ هيس نفسه حاشية من المتنبئين الخاصين به ـ وكان هذا هو المنطلق الذي اعتمد عليه البريطانيون للتسلل والتلاعب .

خطّط فيلمينغ لإعادة ظهور «الرابطة» ـ وهي منظمة صداقة انكليزية ألمانية نشأت قبل الحرب ـ في لشبونة وتانغييه . وعرف بأن هيس قد أنشأ شبكة جاسوسية لينافس أدميرال جزر الكناري أبفيهر ، وأن رجاله سوف يحتكون بعملاء الحلفاء في العاصمتين المحايدتين اللتان تعتبران مرتعاً للجاسوسية . وصلت إلى أسماع هيس بعد وقت قصير أخبار عن استعداد بعض البريطانيين المعروفين للقيام بتمهيد الطريق للتوصل إلى اتفاق مع الرايخ ـ وكان أحدهم إقطاعي اسكتلندي له علاقات ملكية .

وفي أثناء ذلك ، ساعدت مصادر سويسرية متعاطفة فليمينغ على وضع عميل في حلقة المنجمين الخاصين بهيس ـ بحيث استطاع تقديم تقارير عن التنبؤات «العبقرية» التي كان نائب الديكتاتور الألماني يتلقاها ، مما سهَّل عملية تلفيق التنبؤات التي كانت تفي بأغراض فليمينغ . وكان باستطاعة العميل التأكُّد من أن هيس قد تعرَّف على الإقطاعي الاسكتلندي المقصود .

تمَّ انتقاء اسم دوق هاميلتون بعناية للخديعة كما كان جذب انتباهه إلى شخصية بارزة خطراً من جهتين ـ فإن تمكّن عملاؤه من إجراء تحريات عن اتصال خارجي محتمل بسؤال دبلوماسيين محايدين في لندن عن مواقفه وتصرفاته ، وقد يحدث ذعر بين الجماهير إذا تسرَّبت الأنباء خارج بريطانيا عن أن شخصية هامة تؤيد الشعور الألماني . وكان لدى هاميلتون ـ الوكيل المسؤول عن شؤون القصر الملكي ـ مزيّة أخرى . إذ كان يخدم في سلاح الجو الملكي في قاعدة مراقبة جويّة اسكتلندية قريباً من منزل أسلافه . ولو أنّ هيس أخذ مهمة السلام السرية على

محمل الجد ، لفَضَّل الإبتعاد عن مراقبة لندن والنزول خفية في مهبط طائرات مناسب .

بدأت حملة فلكيّة بالظهور تدريجياً بعد جهود مكثفة . وعرف فليمينغ بأن هيس لن يتخذ خطوة مُتطرفة كهذه بناء على نبوءة غير مُؤكدة ، قالها أحد الرجال . كما كان يجب زرع عدّة نبوءات زائفة ولفت انتباهه إليها . ولعب الحظ دوره ، إذ كان هنالك توافق غير اعتيادي لشكل الكواكب في نهاية شهر نيسان . وبداية أيار من عام ١٩٤١ . وقيل لهيس بأنّ هذا يُنبىء بمرض يصيب هتلر . ثم ظهرت إمكانيات طلب سلام وسفر للخارج في طالع هيس . وانفرد فلكيّات بإخباره أنّ يوم ١٠ أيار بشكل خاص كان مُميّزاً .

غادر هيس في تلك الليلة بطائرة خاصة من نوع ميسير شميث ١١٠ إلى اسكتلندا . وأمر الشرطة ودوريات الحرس الوطني أن يأخذوه إلى دوق هاميلتون ـ وبدلاً من ذلك تمّ اعتقاله . لكنّ فليمينغ كان مخطئاً عندما ظنّ بأن حكومته ستُسرُّ لسماع هذه الأنباء . فبينما تَحمّس الأمريكيون لهذا الخبر ، كان وينستون تشرشل ومساعديه محرجين إلى حدما. إذ كانوا يخشون على ما يبدو من تصاعد حملة إعلاميّة حول كون بعض القادة البريطانيين ـ بما فيهم دوق ويندسور المبعد ـ مساندين لهتلر . وصادقت الحكومة البريطانية على ردّ الفعل الألماني الرسمي : بأنّ هيس أُصيب بمَسٍّ من الجنون .

وعلى غير ما بدى ، كان وقع هذه الحادثة على هتلر كالضربة الساحقة . إذ طوّق رجال الغيستابو المئات من الناس ـ معظمهم من الفلكيين ـ واستجوبوهم عما يعرفونه عن هروب هيس . وبعد شهر ، تمّ التصريح عن عدم قانونية جميع الأعمال العامة التي تتعلّق بالفلك والتنجيم وتوارد الخواطر .

أخذ الروس موضوع هيس بجديّة مماثلة ـ إذ لم يغفروا أبداً للغاية التي ذهب لأجلها في مهمته ـ لتفريغ الجيوش الألمانية للقيام بهجوم مباغت على موسكو . وصَوَّتت بالرفض على جميع الإقتراحات القائلة بأنّ هيس يجب أن يحرر من اعتقاله قبل الحرب في سجن سباندو ببرلين . وأُبقي الرجل ـ الذي أمضى معظم فترة الحرب في زنزانة بريطانيّة ـ في عُزلة امتدت إلى ما بعد الإفراج عن نازيين آخرين تمّ سجنهم في سباندو . وفي هذه الأثناء ، كان البريطانيون يتابعون حربهم بمساعدة نوع آخر من النجوم . . .

نجوم هوليوود يقبلون تحدّي هتلر:

وافق بعض مشاهير المسرح والسينما والإذاعة على محاربة خطر النازية المُحدق . وشارك العديد منهم في حفلات غنائية الهدف منها رفع معنويات قوات الجيش . فأصبحت المغنيّة فيرا لين «محبوبة القوات» بأغانيها الثوريّة .وتجوّل الموسيقار الأمريكي غلين ميللر بين البلاد بلا هوادة ، إلى أن لقي حتفه في حادث طائرة غامض وهو في طريقه الى فرنسا . كما قام آخرون بتسجيل برامج دعائية بثتها محطات الراديو إلى البلدان الأوروبية المحتلة ، وكان الهدف منها إضعاف رغبة القوات الألمانية بالقتال ، والرد على المعلومات المغلوطة التي كان يبثها الخائن البريطاني ويليام جويس (الملقب باللورد هاو ـ هاو) من برلين . وتمّ تجنيد العديد من المشاهير كعملاء للجاسوسية ،وكان ديفيد نيفين ـ الذي صوّر شخصية الجنتلمان البريطاني في السينما ـ أحدهم .

بعد وفاة النجم السينمائي في شهر تموز من عام ١٩٨٣ ، تحدّث زميله «ابن تالبوت» عن نشاطات زميله (نيفن) في سرب الإستخبارات العسكريّة خلال الحرب . فقال تالبوت :«لقد كان يتحدث الألمانية بطلاقة ، وشارك في طلعات وراء خطوط العدو . كما اعتُبر كعميل من الدرجة الأولى ، كرّس حياته لعمله . إذ كان عمله صرف انتباه موظفي قاعدة لوفتفاف ، بينما قام بقية العملاء بتخريب الطائرات . وتنكّر بزي ضابط ألماني في العديد من المهام الخَطرة» . وأكدت وزارة الدفاع البريطانية أنّ (نيفين) عَمِل كقائد سرب سري في فوج طائرات الفانتوم الإستطلاعية .

كان (جاك كوستو) ـ الذي شدّت أفلامه عن أعماق البحار أنظار العالم ، وحبست مخاطرها الأنفاس ـ عميلاً سريّاً للحلفاء ضد قوى المحور . وصوّر أوراقاً كانت داخل المراكز العسكريّة الإيطالية في «سيت» ، ثبت أنها لا تقدّر بثمن عندما غزا الحلفاء شمال افريقيا . لم يرتب به أحد عندما جاب شواطىء البحر الأبيض المتوسط كغطاس لا خوف منه ، فراقب تحركات النازيين . وقد مُنح فيما بعد وسام رابطة المحاربين القدماء وصليب الحرب .

وفي لندن ، تطوع أدباء من أمثال (مالكوم ماغريدج وغراهام غرين) للعمل مع الإستخبارات العسكريّة ، فقام ماغريدج بتنفيذ أعمال حساسة في شرقي

ـ معظم نجوم هوليود يعملون جواسيس .

افريقيا وموزمبيق . كما اشتغل جون لوكاري ـ كاتب روايات الجاسوس «الباسم» ـ في عمل جاسوسي في البداية . وكان المؤرخ آرنولد توينبي مسؤولاً عن التقارير اليوميّة المقدمة الى المجلس الحربي عن المعلومات الواردة من مصادر الجاسوسية ، كما كان الروائي دينس ويتلي أحد المخططين لانقلاب الجاسوسية الموفّق والمعروف بانقلاب الرجل الغير موجود ـ وتلك قصّة سنأتي على ذكرها لاحقاً في هذا الكتاب .

لكنّ أطول قائمة توزيع أدوار للنجوم الأكثر شهرة كانت لويليام ستيفنسون . فبتوجيه من وينستون تشرتشل قام ستيفنسون ، الشخصية المعروفة في مجال الأفلام

السينمائية قبل الحرب ، بتنسيق دور الأمن البريطاني في نيويورك بالتعاون مع وكالات الجاسوسية الأمريكية . وكان عملاً معقّداً للرجل الذي لقبه تشرتشل بالجسُور ، أن ينفّذ عمليات وجب إبقاءها سراً عن قسم الولايات المتحدة ـ التي صمَّمت في ذلك الوقت على أن لا تتدخل في الحرب . لكن الاسكوتلانديارد البريطانية أصبحت قوة الإستخبارات الرئيسية في البلاد بمساعدة بعض مشاهير هوليوود .

موَّل (ستيفنسون) الأفلام الدعائية التي أخرجها (جون فورد) في كندا ، وساعده الأخوان كوردا ـ ألكسندر ـ وزولتان ـ على إنشاء المعسكر X (مركز تدريب يبعد ٣٠ ميلاً غربي تورنتو ، حيث كان عملاء الجاسوسية يتلقون فيه تدريبات على المهام التي خُطط لتنفيذها في الدول الأوروبية المحتلة) . فأعاد الأخوان كوردا تشكيل المواقع الألمانية داخل المعسكر وصوروا أفلاماً عنها ليتأقلم الجواسيس في تدريباتهم على الأهداف الأوروبية التي كانوا يتجهون إليها . وكان خيرة فناني المكياج في هوليوود ضمن أولئك الذين ساعدوا العملاء على التنكّر ، كما تمّ إرسال ممثلين كومبارس آخرين إلى كندا لإعطاء دروس في التمثيل . وكان من الطيارين الذين ساعدوهم شخص يدعى (هوغي غرين) ـ الذي أصبح فيما بعد مذيع مسابقات تلفزيونية ومتعهد حفلات في بريطانيا .

كان الممثل ليزلي هوارد ـ نجم فيلم «ذهب مع الريح» ـ في مهمة سريّة لصالح ستيفنسون عندما أُسقطت طائرته على خليج بيسكاي عام ١٩٤١ . كما كان نويل كوارد أحد جواسيس الجَسُور الجوالين . فأثناء تجواله في العالم ، عاملاً في النوادي الليلية في جنوب أمريكا وأوروبا ، سَخِر من عمل الإستخبارات عندما قابل أشخاصاً من ذوي النفوذ طلبوا التحدُّث اليه . لكنّه قدّم تقارير ثابتة عن جميع ما سمعه ورآه إلى ستيفنسون ، فتمكن بذلك من ملء فراغ في منظور الإستخبارات المضادة للنازية والتي ارتكزت على مصادر أخرى من أمثاله . وتحدَّث (كوارد) لأول مرة عن أعمال التجسس التي قام بها ، فقال قبل وفاته بوقت قصير في عام ١٩٧٣ : «لقد اعتبرني الجميع أحمقاً» . لكنّ أحداً لم يشكّ بأنه قد يكون عميلاً لأنّ وجهه كان معروفاً وأسلوبه لا يلفت الإنتباه . فأصبحوا في غالبية الأحيان أقل حذراً لأنّ شهرتهم خلصتهم من الرقابة جزئيّاً .

وكانت النجمة السينمائية السويدية الأصل (غريتا غابور) إحدى العميلات اللواتي عملن بأمرة ستيفنسون ، فاستفاد من اتصالاتها في موطنها الأصلي السويد ، وتمكّن بفضلها من معرفة الجواسيس الألمان في استوكهولم ، ومساعدة الحلفاء الفارين من البلدان الأوروبية المحتلة ، وطلب المساعدات الحربية الحيوية من بلدان محايدة رسمياً . ولما خشي تشرتشل من إمكانية تعاطف العائلة المالكة في السويد مع النازيين ، أكدّت له غاربو وستيفنسون أن مخاوفه لا داعي لها . وفي الحقيقة ، كان الأمير (كارل غوستاف بيرنادوت) يلعب دوراً جاسوسياً فعّالاً ـ سنقصّه فيما بعد في هذا الكتاب .

لعب جميع النجوم السينمائيين الذين جندهم ستيفنسون دوراً كبيراً في كسب الحرب . لكن نجومية أحد عملائه المجهولين من قبل الرأي العام ، طغت عليهم جميعاً .

Greta Garbo

ـ الممثلة غريتا غاربو .

سينثيا : الجاسوسة التي لم يستطيعوا مقاومتها

كان الحارس الليلي الواقف على بوابة السفارة الفرنسيّة في واشنطن قلقاً ، إذ لم يثق بالرجل والفتاة الذين توسلا إليه ليسمح لهما بقضاء ليلة غرامية داخل المبنى . قال له الرجل بأنّه متزوج ولم يجد مكاناً آخر ليكمل فيه موعده الغرامي ، وأعطاه رشاوى سخيّة . لكنّ الشمبانيا التي شرّباه إياها قبل يومين جعلته يغفو باستغراق ، فنام كطفل صغير طيلة الليل . ولما عادا ثانية ، قرر الحارس أن يتحقق مما كانا يرميان إليه . فتسلل على أطراف أصابعه حتى باب الغرفة التي كانا بداخلها ، واسترق النظر بفضول من خلال ثقب الباب ، ثم عاد أدراجه . كانت الفتاة الجميلة ذات العيون الخضر والشعر الكستنائي ممدّدة على الأريكة بإغراء بعدما تجرّدت من ثيابها . لكنّ حارس السفارة الفرنسية لم يلاحظ أنّ نظره وقع على جسد أنجح جاسوسة جنس في الحرب العالمية الثانية ـ تلك التي جعلت أعمال (ماتا هاري) تبدو تافهة بالمقارنة بما فعلت هي .

كانت (آمي إليزابيث ثورب) أمريكية الأصل ، لكنّها تزوجت من الدبلوماسي البريطاني (آرثر باك) خلال الثلاثينات . وكان باك رجلاً جافاً ومغروراً ولا يناسب فتاة لها مثل تطلعاتها وحبها للمغامرة على الإطلاق . ومع ذلك بقيت معه ، واقتضى عمله الذهاب إلى تشيلي واسبانيا وأخيراً بولندا ـ حيث وجدت هناك فرصتها التي طالما انتظرتها للحصول على بعض الإثارة . ففي عام ١٩٣٧ ، دعتها الإستخبارات البريطانية لأن تصبح عميلة جاسوسية ، فوافقت على الفور .

أصبحت آمي ـ التي عرفت باسم سينثيا خلال الحرب ـ عشيقة موظف بارز في وزارة الخارجية البولندية في وارسو . فأخبرها عن التطوّرات في ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ـ وكانت تلك معلومات هامة بالنسبة للبريطانيين . لكنّ الأهم من ذلك أنها عَلِمَتْ عن المهندسين البولنديين العاملين على تطوير آلة الشيفرة الألمانيّة الغامضة . وكانت تلك هي الخطوة الأولى في العملية الجاسوسية التي أدّت إلى اكتشاف البريطانيين لرموز تلك الشيفرة ، مما أدى إلى التنصّت على اتصالات هتلر السريّة وتعطيلها .

في عام ١٩٤١ ، كانت سينيثا في نيويورك ، بعد أن تم استدعاؤها للعمل مع قوى الأمن البريطاني . إذ احتاج ويليام ستيفنسون لشخص يستطيع تسريب

الأسرار من السفارات الإيطالية والفرنسية ، وكانت سينثيا أنسب واحدة تصلح للقيام بهذه المهمة بسبب نجاحها في بولندا . فنزلت في شقة مريحة في واشنطن ، وشاركت في حفلة كوكتيل في العاصمة الأمريكيّة في محاولة منها لإعادة علاقتها مع حبيبها السابق الأدميرال ألبرتو لايس ـ الذي أصبح الملحق العسكري للشؤون البحرية المنتدب من موسوليني في الولايات المتحدة الأمريكية .

وعلى عكس الجاسوسات اللاحقات اللواتي استخدمن إغراء الجنس للحصول على غاياتهم ، لم تُبق سينثيا نواياها سريّة . فقالت للايس بصراحة بأنّها بحاجة للرموز والشيفرة الإيطالية لمساعدة استخبارات الحلفاء في مساعي الحرب المعادية لبلده . وكان بدورها مأخوذاً بجمالها لدرجة أنّه قدّم لها ما طلبت لتقوم بتصويره . حتى أنّ القادة المخضرمين في مكتب الاسكوتلنديارد ذهلوا من حصولها على المعلومات ، وقال أحدهم : «إنه شيء مذهل أنّ رجلاً له مثل خبرته وأقدميته ، ويعتبر ضابطاً ثورياً بالغريزة والتدريب والإقتناع ، يمكن أن ينقاد وراء عواطفه لهذه الدرجة» .

ساعدت الرموز الإيطالية الأسطول البريطاني الذي لم يحسب له أي حساب على تدمير سفن قوى المحور في البحر الأبيض المتوسط ، وكانت قيمتها لا تقدّر بثمن إبّان غزو الحلفاء لشمال افريقيا . تركت سينثيا الأدميرال لايس بعدما استوفت غرضها منه . ثم أخبرت مكتب الإستخبارات الفيدرالي عمّا كان يعرفه عن أعمال التخريب في المرافىء الأمريكية ، فأُعيد إلى موطنه باعتباره شخص غير مرغوب بوجوده .

كان هدفها التالي السفارة الفرنسيّة ، التابعة آنذاك للحكومة الشكليّة المؤيدة للنازية ، والتي وضعت بعد احتلال هتلر لفرنسا . وكان الكابتن تشارلز بروس ، الطيار الحربي السابق ، ومسؤول الصحافة لدى السفير ، قد عمل مع الإستخبارات البريطانية قبل الحرب ، لكنّه مرض عندما هاجمت السفن البريطانية القوات البحريّة الفرنسية في مرفأ أوران عام ١٩٤٠ لمنع الألمان من استخدام سفن الأسطول الفرنسي . كما أنه لم يكن صديقا للأمريكيين ، لاعتقاده بأنّهم متبجحين ، دونما إدراكٍ منه للوقائع السياسية لبلده .

تمكنت سينثيا ببطىء وإغراء من كسبه في صفها ، إذ أنّ ذكاءها لم يقلّ عن جاذبيتها الجسمانيّة ، فوقع بروس أسير حبّها . حتى أنّه وافق على انتقالها إلى الفندق الذي كان يعيش فيه مع زوجته الثالثة . ثم أخبرها عن كنز من العملية الذهبيّة الفرنسية مخبأ في جزيرة مارتنيك في البحر الكاريبي . فأرسل مكتب الإستخبارات البريطانية عملاء لتحديد موقعه ومَنْع سقوط ذاك الكنز بأيدي النازيين . واستخدم ستيفنسون الذهب فيما بعد كضمان في المباحثات للحصول على قروض مالية من أمريكا للمجهود الحربي البريطاني ، كما عرفت سينثيا أيضا عن المؤامرات النازيّة ضدّ حمولات سفن الحلفاء، وتمّ إخبارها عن العملاء الألمانيين في شمال وجنوب أمريكا ، الذين سافروا عن طريق مكتب الهجرة الفرنسي . عندئذ أتى دور الطلب الصعب ـ الحصول على الرموز الجديدة للقوات البحرية الفرنسية .

تلك الرموز كانت في غرفة مقفلة في السفارة الفرنسية بواشنطن . وحتى بروس نفسه لم يكن يستطيع الوصول إليها . فخططا معاً لخدعة الموعد الغرامي التي انطلت على الحارس الليلي . كان البقشيش السخي ورواية «لم نجد مكاناً آخر نذهب إليه ، قد جعل وجهيهما مألوفين . ثم أتت الليلة التي أحضرا فيها زجاجات الشمبانيا . وكانت شكوك الحارس في محلّها . فأثناء إغفاءه بتأثير المنوم الذي دساه له في الزجاجة ، قاما بإدخال خبير أقفال من باب جانبي ليطلع على باب القبو الذي وضعت فيه الرموز . وفي الليلة التي استرق فيها الحارس النظر من ثقب الباب على سينثيا العارية ، كان خبراء الإستخبارات البريطانية في القبو ينسخون صوراً طبق الأصل عن رموز الشيفرة الحيوية .

ومثلما كان عمل سينثيا بارعاً في الكشف عن الأسرار والرموز الإيطالية ، كانت تلك ضربة جاسوسية موفقة غيّرت مسار الحرب . ففي عام ١٩٤٥ ، ذكرت صُحف الاسكوتلانديارد الرسميّة أنّ سيطرة سينثيا القوية التي دوخت الرجال قد فتحت طريق العودة إلى فرنسا وبالتالي إلى ألمانيا . وعندما وجّه هـ . مونتغمري هايد ، كاتب قصة حياة ستيفنسون ، سؤاله إلى سينثيا بعد عدة سنوات فيما اذا كانت تشعر بالخجل من تورطاتها الجنسية السابقة ، أجابت باستغراب : «بالخجل ؟ بالتأكيد لا ، لأن رؤسائي قالوا لي بأنّ عملي أنقذ أرواح الآلاف من البريطانيين

والأمريكيين» .

تطوّعت سينثيا لعمل آخر في أوروبا ، إذ أرادت أن تنزل بالمظلة خلف خطوط الألمان العسكرية كعميلة اغتيالات سريّة . ورغم أنها تعوّدت على المخاطر إلاَّ أنّ سادة الجاسوسية قالوا بأنّ المهمة في هذه المرة خطرة جداً . وبعد عام ١٩٤٥ ، طلّق بروس زوجته ، ووُجِد آرثر باك زوج سينثيا مقتولاً في الأرجنتين ، بعدما تدهورت صحته . فأصبح الطريق خالياً أمام سينثيا للزواج من بروس ، وهذا ما فعلته . وعاشا في قصر جنوبي فرنسا حتى عام ١٩٦٣ ـ عندما ماتت أكثر الجاسوسيات نجاحاً وفتنة في العالم بعد صراع مع مرض السرطان الذي فتك بها أخيراً . ومات بروس بعدها بعشر سنوات .

تمّ منح قائد جناح الغابات فريدريك يو ـ توماس وسام الصليب العسكري وميدالية الملك جورج لقاء مغامراته التي قام بها مع الوحدات الخاصة البريطانية والتي نُفذّت في فرنسا المحتلة . وطلب منه في إحدى المرات أن يعود الى لندن عندما أصبح تواجد الألمان حول أراس قوياً جدّاً ، فانتقل إلى المكان المحدد له ليستقل طائرة العودة في النقطة بعدما اختفى تحت الزهور في سيارة جنائزية ، وقد أمسك في قبضته بندقية أوتوماتيكية ليدافع عن الأسرار التي كان عائداً بها للوطن ، فاختبأ داخل الكفن خشية أن يوقف الجنود الألمانيين مراسم الجنازة وهي سائرة .

الأحجية لوسي :

اعْتُبِرَت آلة «الأحْجية» ، التي حذّرت الجاسوسة سينثيا لندن من وجودها ، كرَدّ من هتلر على نجاح الحلفاء بفكّ رموز الشيفرة في الحرب العالمية الأولى ؛ لأنّه كان مُصمماً على أن لا يتنصّت أحد على رسائله العسكرية البرقيّة ويتلاعب بها كما فعل خبراء الشيفرة في الغرفة ٤٠ باتصالات القيصر الألماني . كانت «الأُحجية» آلة حوَّلت الرسائل البرقيّة إلى رموز مُبْهمة عِنْد بثّها بطريقة المورس ؛ بحيث لا يمكن تفسير رموزها إلاَّ من قِبَل أشخاص لديهم آلات استقبال مشابهة . وبعد التحذير ، الذي بعثت به سينثيا ، حاول العملاء البريطانيون اكتشاف المزيد عن هذه الآلة . وكان لدى الاستخبارات البولنديّة رجال يصنعون هذه الآلا ت في المعامل الألمانيّة . ويقدمون تفاصيل وافية عنها ـ حتى أنهم سلموا نسخاً عن

مخططات المعدّات . وفي عام ١٩٤١ ، تمكّن رجال البحريّة الملكيّة البريطانية من الحصول على آلةٍ أصليّة عندما أسروا سفينة حربيّة ألمانيّة . وصنع العلماء البريطانيون آلة معقدة مماثلة أسموها «ألترا» ـ آلة استقبال أوتوماتيكية .

وفي سباق مع الزمن ، بدأ فريق خاص ، بقيادة الكابتن إدوارد هاستينغز ، بفكّ رموز الرسائل بسرعة داخل منزل ريفي قرب ساحة بليتشلي في باكينغهامشاير . وفسَّرت المحطة X عدداً كبيراً من المخابرات البرقيّة الثمينة ، مما مكّن القوّات البحريّة من اكتشاف السفن الحربية النازيّة وتدميرها بأسرع مما هو متوقع . وحذّرت مونتغمري من فخّ نُصب للإيقاع بجيشه الثامن من قِبَل رومل بعد معركة العلمين . كما ساعدت على إغراق السفينة «بيسمارك» ، وأبقت قادة جيوش الحلفاء على اطلاع بآخر خطط الجيش الألماني المُعدّة للمعارك .

تكتّم البريطانيون على أخبار فك رموز الشيفرة كي لا يرتاب هتلر . فلو أنّه عرف أنّ جهاز «الأحجية» قد افْتُضح أمره ، لكان غيَّر الشيفرة إلى أخرى جديدة لا يُمكن فك رموزها . وأُجبر الحلفاء على أن يُطبقوا شفاههم ؛ حتى عندما عرفوا عن كوارث وشيكة الحدوث . فقد عرفوا ، على سبيل المثال ، أنّ الطائرات المقاتلة الألمانية كانت ستهاجم الطائرة التي أقلّت ليزلي هوارد في مهمة سريّة لصالح رئيس الاستخبارات البريطانية ويليام ستيفنسون ، بعد أن استقبل جهازهم الأوامر التي صَدَرت للقوى الجويّة الألمانية . لكنّ منع ذهاب الطائرة كان سيثبت أنّ هنالك من ينصّت على ما يحدث . وهكذا لم يكن بالإمكان تجنّب مصرع هوارد .

بقيت أسرار المحطّة X طيّ الكتمان إلى ما بعد انتهاء الحرب . وبعد عدّة سنوات ، بدأ مراقبو تطوّر الجاسوسيّة يربطون نجاحها المذهل مع ضربة موفقة أخرى من الاستخبارات في المعركة ضد هتلر ـ حلقة لوسي في سويسرا . وتلك أخذت اسمها من لقب رودولف رويسلر البافاري المعادي للنازية ، الذي أعطى ستالين ، بمساعدة الإنكليزي الكسندرفوت والمجري ساندور رادو ، معلومات مذهلة بدقتها عن مخطط هتلر لغزو الإتحاد السوفييتي في عام ١٩٤١ . وبقي يُسرّب الحقائق السريّة للغاية مُدّة سنتين ، فعرف ستالين مسبقاً كلّ التحركات النازيّة الرئيسية . لكنّ تلك المعلومات كانت دقيقة جداً ، مما حدا بقائد الجيوش السوفيتية ، الذي كان هو نفسه خبيراً بالخدع البارعة ، لأن يَشُك بقيام حملة تضليل

ألمانية . ورفض في نهاية المطاف أن يثق بالمعلومات التي كانت تساعده على الانتصار في المعارك .

ادّعى رويسلر دوماً أنّه حصل على معلوماته من شخص بافاري معادي للنازية يعمل في قيادة الجيش الألماني ؛ وربما كان كلامه ينطوي على شيء من الصحة ، فالإستخبارات المضادة للجاسوسية ، والمُشكَّلة من الغيستابو وعناصر من الجيش الألماني ، لم تكن من الغباء بحيث تسمح ، يومياً تقريباً ، بأن تتسرَّب خطط المعارك السريّة أولاً بأول . وبالحكم على انجازات رويسلر ، بدأ المؤرخون يبحثون عن مصدر بديل معقول . واستقر رأيهم بإصرار على المحطة X .

كان من مصلحة بريطانيا إبقاء هتلر منشغلاً على الجبهة الشرقيّة ، إذ لم يكن بالإمكان استخدام الكتائب العسكريّة التي تمركزت هناك ، في أوروبا الغربيّة . لكنّ سادة الجاسوسية أدركوا أنّ ستالين لن يثق بالمعلومات التي ترده مباشرة من لندن ، ولم يعرفوا وقتها أنّه كان لديه مسبقاً كل من فيلبي وبورغيس وماكلين وبلانت يزوّدونه بالمعلومات ، فلم يجرؤ الحلفاء على المخاطرة بإبلاغ ستالين بأنهم كانوا يعرفون الكثير عن خطط هتلر . إذ أنّ الثعلب العجوز الذكي كان سيفضح سر «الأحجية» إلى الألمان مقابل عقد اتفاقية سلام مفاجئة . لو أنّ الحقائق البريطانيّة وصلت عن طريق شبكة موسكو الأصلية في سويسرا . فمن المنطقي أنها كانت سوف تُستخدم ببراعة متناهية .

تابعت حلقة لوسي نشاطاتها حتى أواخر عام ١٩٤٣ ؛ عندما غيّر السويسريون موقفهم المحايد واعتقلوا الجواسيس لما بدأ اجتياح هتلر لأوروبا ـ رغم أنهم كانوا قد تغاضوا عن ما سموه بالروت دري (الثلاثة الحمر) قبل ذلك . فبعد أن حددت قيادة الجيش الألماني موقع الجواسيس الثلاثة الذين كانوا يرسلون باللاسلكي الأسرار الألمانية إلى موسكو ، هدّدت بأنها ستقوم بعمل انتقامي ما لم تلقي السلطات السويسريّة القبض على الجواسيس . وحُكم على الثلاثي بالسجن لعدة أشهر فقط ، ثم أُطلق سراحهم وأُعيدوا إلى بلادهم .

كان قائد الحلقة ـ رادو ـ غير راغب بالعودة إلى روسيا ، لأنّه خالف الأوامر المعطاة إليه بأن لا يُخبر الحلفاء عن أسراره . لكنّه أبلغ البريطانيين عن صواريخ ف ـ٢ المدمرة التي كانت تُصنع في مدينة بينموند . وعندما وقع بيد الروس لم

تشفع له المعلومات التي قدمها سابقاً للروس وساعدت ستالين فيما بعد على كسب المعارك في ستالينغراد وكورش . فَحُكِمَ عليه بالسجن عشر سنوات داخل مُعْتقل في سيبيريا . وبعد عدّة سنوات فقط ، تمّ الكشف عن حالته المتدهورة ، من قِبَل جاسوس سوفييتي سابق سُمِحَ له بالمهاجرة إلى إسرائيل (فلسطين المحتلّة) . قال بأن رادو اتصل وهو في طريقه الى موسكو بموريس أولدفيلد الذي أصبح فيما بعد جاسوس بارع ؛ وكان وقتها عميلاً في مصر ـ وطلب منه تأمين حماية ومكان آمن ، فأرسل طلبه إلى لندن ، لكنّهم رفضوا طلبه ؛ لأنّه وصل إلى مكتب كيم فيلبي .

لم يتكلم رويسلر مطلقاً عن المصادر التي زودته بالمعلومات ـ ربّما لأنّه اعتبر من مصير رادو ـ ومات عام ١٩٥٨ ، فاندفنت أسراره معه إلى الأبد . وأرسلت موسكو فوت إلى مكسيكو للتجسس على الولايات المتحدة ، لكنه عاد إلى بريطانيا فور وصوله إلى برلين الشرقية ـ حيث استلم عملاً مدنياً روتينيّاً في وزارة الزراعة بلندن . ولم ينبس ببنت شفة عن تجاربه خلال زمن الحرب .

شارك الجاسوس التشيكوسلوفاكي الجنرال مزانتشيسك مورافيتش في الأعمال المصرفية ، ليُجند جواسيس قبل غزو هتلر لبلده . ففتح مصارف على طول الحدود مع ألمانيا، وعرض قروضاً ماليّة لأي جندي يعاني مشاكل مع الدائنين . لم يصدق الجنود أعينهم من فرط السعادة عندما قرؤوا بنود الإقراض المعروضة بسخاءٍ شديد . وانتظر عليهم مورافيتش حتى تجاوزت ديونهم الحدود المعقولة ، فعرض عليهم طريقة سهلة لشطب تلك الديون ـ التجسس . واستخدم رئيس استخبارات البراغو أيضاً الجنود التشيكوسلوفاكيين كجواسيس . وأصر عليهم دوماً أن يَستخدموا العكازات ، ليتذرعوا بحاجتهم لمساعدة شخص مدني بليد ، ولتمويه طريقة مشيهم العسكريّة .

الميجور مارتين الوهمي :

لم يكن رودولف رويسلر والحلقة لوسي الجواسيس الوحيدين الذين كانت أسرارهم صحيحة جداً لدرجة تثير الريبة . إذ ادعى العميل اليوغسلافي ديوسكو بوبوف في مذكراته أنه أعطى تفاصيل كاملة عن غارة اليابانيّين على ميناء بيرل إلى ج . إدغار هوفر ، رئيس وكالة الإستخبارات الأمريكية ، قبل وقوع الهجوم التدميري «المفاجىء» في ٧ كانون الأول ١٩٤١ . وكان وزير خارجية هتلر ، جواكيم فون وينتروب مذنباً لارتكابه خطأ فادحاً .

قرر التركي إلييسا بازنا أن يعمل بالتجسس ليُحسن وضعه المادّي ، وحصل على وظيفة مستخدم داخل السفارة البريطانيّة في أنقرة . ثم صار يراقب تحركات السفير السير هوغ ناتشبول ـ هاغسن . ولما كان نظام الأمن ضعيفاً ، قرر بازنا أن ينتهز الفرصة ، فحصل على ترقية ليصبح خادم السفير الخصوصي ، واتّصل بالسفارة الألمانيّة ـ عارضاً عليهم أسراراً للبيع . واستخدم مفاتيح السفير التي كانت بمتناوله ، فصوَّر وثائق سريّة كانت متروكة في غرفة نوم السفير للنظر في أمرها في المساء . وقد تضمنّت قائمة بأسماء عملاء الحلفاء في تركيّا ومحاضر المؤتمرات العسكريّة والرمز الدبلوماسي وخطط غزو أوروبا .

أَرْسل الجواسيس الألمان ، الذين لقبوه بالمرتزق «شيشرون» ، معلومات دقيقة مباشرة الى فون ريبنتروب في برلين . لكنّ هذا الأخير لم يُصدق أن بإمكان خادم الحصول على معلومات كهذه ، وقيل للسفير الألماني في أنقرة ، فرانتس فون بابن ، أن يتجاهل المصدر . لكنّ المتصلين بشيشرون عرفوا بأنهم وقعوا على مصدر معلومات جيد . وتمكّنوا من إقناع رؤساء فرع الجاسوسية في برلين بتقديم أموال أخرى ، فاستمر شيشرون بالقيام بعمله ، دون أن يستطيع فون ريبنتروب المغرور إقناع استخباراته بتركه .

وفي شهر آب من عام ١٩٤٣ ، سلَّم عامل متخفي في وزارة الخارجية الألمانية أوّل ورقة من حوالي ٣٠٠٠ وثيقة إلى العملاء الأمريكيين في سويسرا ، فكشف فيها عن خيانة شيشرون ؛ الذي وصلته أنباء افتضاح أمره إلى أنقرة بطريقة ما ، وحذّره الألمان . فجمع ٣٠٠ ٠٠٠ جنيه كانت مخبأة تحت السجّادة في غرفة نومه وهرب . لكنّه فوجىء فيما بعد أن الأموال التي حصل عليها من الألمان كانت

مزوّرة .

وخلال رفض النازيين بازدراء للمعلومات التي قدّمها شيشرون ، وقعوا في شركين للجاسوسية نصبهما الحلفاء لهم ولعبت نتائج هاتين الخدعتين دوراً أساسيّاً في تحويل مسار الحرب ضد هتلر . كما كان لخيال الكاتب دينس ويتلي الخصب دوراً مهماً في التخطيط لهما معاً .

في الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة من صباح يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٣ ، صعدت الغواصة الحربية البريطانية «الساروف» إلى سطح الماء على بُعدِ ميل واحد تقريباً من مصبّ نهر هيولفا على شاطىء اسبانيا الجنوبي يُخفيها الضباب . وبذل طاقم الغواصة كل جهدهم لإخراج برميل ضخم كُتب عليه «أدوات بصريّة ، إلى السطح ، ثمّ فتحوه وأخرجوا جثة رجل من الجليد الجاف الواقي ، وألبسوه طوق نجاة قابل للإنتفاخ . وبعدها أنزلوه في البحر بهدوء ، وأتبعوه بزورق مطاطي ومجاديف . ثم عادت الغواصة إلى الأعماق ، فتم بذلك اتخاذ آخر خطوة في قضية «الرجل الغير موجود» الغريبة .

وجد أحد الصيادين الجثة في نفس اليوم ، وقام بتسليمها إلى دوريّة حرس الشواطىء الإسبانيّة . ثُمّ أُعلمت السفارة البريطانية في مدريد عن اكتشاف مأساوي ، إذ تسلّمت الأغراض الشخصية للميجور في سلاح البحرية الملكية البريطانيّة ويليام مارتين . وتضمنت بطاقة شخصيّة رقم ١٤٨٢٢٨ و٨ جنيهات ورقية وخمسة سنتات و٢٩ بنس عملات معدنيّة وسجائر وعلبة كبريت وحمالة مفاتيح وتذكرتي مسرح ووصل إقامة لالليلة السادسة في النادي العسكري والبحري في ساحة البيكاديللي بلندن .

واحتوت جيوبه أيضاً على رسالتين من خطيبته وصورة فوتوغرافية لها ، وَوصْلُ شراء خاتم خطبة بمبلغ ٥٣ جنيه . وكان هنالك رسالة من والدها في شمال ويلز يتحدّث فيها عن الزواج المقبل ، وكتاب من مصرف لويدز يطلب فيه التصرّف المناسب حول موضوع سحب مبلغ ٧٩ جنيه أكثر من الرصيد الفعلي . وورقة فيها ملاحظة من بعض المحامين يُخبرونه فيها عن تعليمات وصيّة .

قبلت السفارة استلام الأغراض الشخصية التي كانت بحوزته ، بينما كان جثمان الميجور مارتين يدفن بمراسم الشرف العسكرية في هيولفا . لكنّ

Sir Winston Churchill

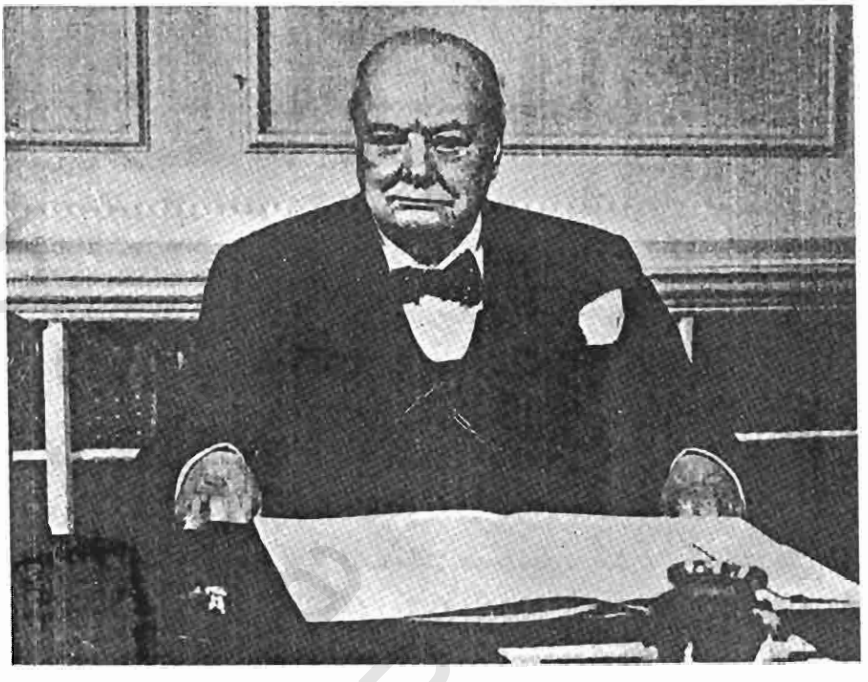

ـ ونستون تشرشل : رئيس وزراء بريطانيا .

كان سيد الجاسوسية في الجيش الألماني ، الأدميرال ويلهلم كاناريس ، يسعى للتوصل إلى معاهدة صلح ـ بعدما شاهد تسيّب النازية باشمئزاز . وشكّ الكثيرون بأنّه كان وراء محادثات الفاتيكان السريّة لمحاولة إيجاد صيغة سلام إبّان اندلاع الحرب . ثمَّ عرقل كيم فيلبي محاولات الإتصال به في لندن . كره العديد من النازيين كاناريس ، وسنحت لهم الفرصة لإذلاله في عام ١٩٤٤ . فعندما انضم عميل للجيش الألماني بأنقرة في تركيا للبريطانيين ، تمّ تسريح كاناريس ، وضُمت شبكة الجاسوسية العاملة لديه للغيستابو ، وتبع ذلك اعتقاله هو شخصياً . وقبيل استسلام الألمانيين ، في نيسان من عام ١٩٤٥ ، اقتيد عارياً الى ساحة سجن فلوسنبرغ ـ ليستمتع رجال قوات الصاعقة بمشاهدته وهو يُخنق ببطء بأسلاك بيانون .

الدبلوماسيين البريطانيين عادوا فقدّموا احتجاجاً مفزعاً لمضيفيهم الإسبان المحايدين رسمياً ، لأنّ حقيبة الميجور مارتين كانت مفقودة وفيها أوراق هامة . ووعدت الحكومة الإسبانية بأنها ستقوم بالتحقيق في هذا الموضوع . وفي ١٣ أيار ، أُعيدت الحقيبة . كان بداخلها رسائل هامّة موجهة إلى الجنـرال ألكسندر ، قائد الجيش الثامن ، تشرح خطط الحلفاء لمهاجمة كايب أراكسوس في اليونان . كما وُجد فيها أيضاً رسالتين الى الجنـرال أيزنهاور والسير أندرو كلينغهام ، أدميرال الأسطول البحري ، وفيهم نوّه الأدميرال اللورد لويس مونتباتن إلى تحرك حملات عسكرية في المستقبل القريب وسخر من السردينيين ـ فكانت تلك إشارة واضحة إلى احتمال قيام هجوم مفاجىء على جزيرة سردينيا .

وفي لندن ، فحص العلماء ورؤساء الإستخبارات المظاريف التي احتوت على الرسائل بعناية ، فاكتشفوا أنها قد مُنحت من قبل . وعلم النازيون أنّ هدف جيوش الحلفاء التالي هو شمال افريقيا . فهل كان ما عرفوه صحيحاً ؟ لقد اقتنع قادة الجيش الألماني بأنّ هذه المعلومات صحيحة ، فنشروا القوات في اليونان وسردينيا لمفاجئة الغازين . لكنْ عندما هاجمت قوة الحلفاء بكاملها شواطىء جزيرة صقلية في ١٠ تموز ، لم يكن بانتظارهم سوى كتيبة عسكرية إيطالية واحدة وكتيبتين ألمانيتين . فكانت الخسائر على الشواطىء بالتالي قليلة جدّاً ، وتم بذلك قطع الطريق إلى أوروبا بسرعة وفعالية كبيرتين .

قال وينستون تشرتشل : «لم يكن أحد ليتوقع بأن الهجوم سيكون على جزيرة صقلية» . وأظهرت خدعة الميجور مارتين الوهمي الألمانيين بمظهر الحمقى . إذ كانت مهمته التي كان ذاهباً لتنفيذها في شمال أفريقيا ، وتحطّم طائرته المفترض ؛ والذي ألقى بجثته إلى شواطىء اسبانيا ، وهماً ابتدعه خيال المخابرات . فانطلت الخدعة التي دُبّرت بعناية عليهم تماماً .

وحتى في لحظة الشعور الغامر بفرح الإنتصار ، أبقى سادة الجاسوسية البريطانيين على وعدهم للأبوين مجروحي الفؤاد ، اللذين سمحا بشجاعة أن تستخدم جثة ابنهم المتوفى عن ٣٠ عاماً ـ وهو مدني مات بالسل ـ في هذه الخديعة . ولم يتم الكشف عن شخصيته .

وكان من غير المعقول أن يقع الألمان في حبائل خديعة جاسوسية أخرى قبل غزو منطقة النورماندي في اليوم د ، لكنهم وقعوا . إذ شنّ برنامج شائعات مدبرة ومكائد متعمدة قبل القيام بالهجوم المفاجىء على الشواطىء . لكنّ الصحف النازيّة ، التي فُحصت بعناية بعد الحرب ، كشفت أن الانتباه تحوّل بالخداع عن الموعد الفعلي للهجوم عندما قدّم الجواسيس تقاريرهم عن أنّ الجنرال مونتغمري ، قائد القوات البريطانيّة . كان في غيبرولتر في شمال افريقيا . وقام الممثل السابق كليفتون جيمس في هذه المرة بأكثر الأدوار أهميّة في حياته .

ولعب حليف آخر دوراً فعّالاً في المساعدة على تحويل اليوم د إلى نصر دائم فرحه . لكن كان عليه أن يتظاهر بالبراءة فترة أطول وفي ظروف أخطر من سابقاتها بكثير . . .

ـ دورية تجسس في الصحراء الافريقية .

إريك إريكسون: بائع نفط غير عادي

راقب الجواسيس الأمريكيين ، المُترصدين للمناورات العسكرية الألمانية قبل نشوب معركة الراين الفاصلة في عام ١٩٤٥ ، بدهشة النشاط المستمر لجيش هتلر وهو يستعدّ لخوض المعركة الأخيرة . كانت الجياد تجر وراءها العربات المحمّلة بالذخائر الى الجبهة ، والثيران تسحب المدرعات إلى مواقع تمركزها . وجاء آخر برهان على نجاح إحدى أخطر مآثر الجاسوسية في الحرب إذ خدع رجل الأعمال إريك إريكسون . كبار الضباط النازيين لأكثر من ثلاث سنوات . وأنشأ تجواله بحُريّة في ألمانيا ، بجواز مرور شخصي قدّمه له قائد الإستخبارات الألمانية هنريك هيملر ، أجرى تحريات مكثفة إلى أن استطاع تحديد موقع معامل تكرير النفط والبترول التركيبي ، فأخبر قاذفات القنابل التابعة للحلفاء عن أفضل طريقة لتدميرها . لكنه دفع ثمناً مأساوياً مقابل تحقيق النصر ، إذ وقف عاجزاً عن المساعدة ،وهو يُشاهد الفرقة المكلّفة بتنفيذ حكم الإعدام وهي ترمي بالرصاص الفتاة التي أحبها ، مخافة أن يُفْتَضح أمره

أصبح إريكْسون ، المولود في بروكلين بنيويورك ، أحد مُصدري النفط العالميين ، وكان مواطناً سويدي الجنسيّة أثناء اندلاع الحرب . وخلال تجواله في أنحاء العالم ، كان يمر بألمانيا في أحيانٍ كثيرة ، فتابع باهتمام بالغ قيام النازيّة . ثم عُرِض عليه بعدها ، خلال حفل عشاء في استوكهولم مع السفير الأمريكي في روسيا لورنس شتينهاردت ـ الذي تربطه به معرفة شخصيّة ، طريقة للرد على هذا الإجتياح النازي . عرف شتينهاردت أنّ الأمريكيين سيتورطون في القتال إن عاجلاً أو آجلاً ، وكان جهاز استخباراتهم يستعد لهذا اليوم . لكنهم كانوا بحاجة لمعلومات عن خطوط البترول الرئيسية التي كانت تزوّد النازيين بالنفط ، فأجرى إريكسون ، المعروف من قبل الألمان ، اتصالات في الرايخ بحجة الذهاب لألمانيا في عمل ، لأن لديه الخبرة اللازمة . فهل كان باستطاعته القيام بالمهمة فعلاً ؟ لقد وافق إريكسون بسرعة ، وقال بأنّه سيحاول جهده .

وشكّل خلال ١٨ شهراً رهيباً تصوّراً جديداً بعناية . فانصرف عنه جميع أصدقائه القدامى ، لما استنكر بحدّة آراءهم المعادية للنازية علانية . وعلّق صوراً لهتلر في مكتبه ومنزله . وأقام بالتدريج علاقات وطيدة مع رجال المفوضية

الألمانية . وكانت ملاحقته للأمير كارل غوستاف بيرنادوت ، ابن عم الملك غوستاف ، ليفقده شعبيته في السويد المحايدة بتعاطفه المدعى مع النازيين ، هي الضربة القاصمة .

وافق الأمير ، بعدما اقتنع بأنّ مهمة إريكسون قد تُقصّر أمد الحرب ، على تناول غذائه مع أركان الحرب الألمانيين ، وأطرى على غرورهم الفارغ متملّقاً . وفي أيلول من عام ١٩٤١ ، سُمح لإريكسون بالذهاب في رحلة عمل إلى ألمانيا ، بعد أن تغلّب على موقف فقده لثقة الأمريكيين به . ولم يعرف أحد عن مهمته التي كانت وراء تغيّره سوى شخص واحد ـ زوجته الجديدة ، إنغريد .

كان رجال الغيستابو بانتظاره عندما حطّت الطائرة التي كانت تقلّه في مطار تيمبلهوف ، واستجوبه البارون فرانتس فون نورد هوف بقسوة عن مواقفه من هتلر والنازيين وأمريكا وإمكانية جعل السويد نازيّة . واستطاع الجاسوس المحنّك أن يتملّص من الأسئلة التي وجهت إليه ببراعة ، وسُمح له أن يتابع رحلته ـ التي كانت في الظاهر لشراء النفط الألماني لبلده . وحفظ في ذاكرته كل ما يمكن أن يكون هاماً للحلفاء . كما جنّد أيضاً ١٢ شخصاً من أصدقائه القدامى الموثوق بهم ليزودوه بالمعلومات عن مصانع النفط التي كانوا يعملون فيها . واستغرق إقناعهم بأنه كان يعمل لصالح الأمريكيين ، وليس عميلاً نازيّاً مغضوباً عليه ، وقتاً طويلاً . وطالبه العديد منهم بأن يعطيهم ورقة موقعة منه تُثبت للحلفاء بعد الحرب بأنهم ساعدوا القضيّة . وعرف إريكسون أنّ أيّ وثيقة يقدّمها ستقوده مباشرة إلى حتفه إذا وقعت في يد الألمانيين ، لكن لم يكن لديه أي خيار آخر .

سافر إريكسون من برلين إلى هامبورغ ، ومنها إلى هول وهانوفر . وحفظ بذاكرته مواقع معامل تكرير النفط وتفاصيل الإنتاج والمعالم الأرضية القريبة وموقع البطاريات المضادة للطائرات ومدارج الطائرات المقاتلة . وفي طريقه إلى السويد ، سجّل المعلومات بالتفصيل على أسطوانة الديكتافون[1] الذي وصله عن طريق العملاء الأمريكيين . وفي خلال وقت قصير ، بدأ وصول النفط الذي اشتراه إريكسون مقابل اعتمادات لتوريد فلز الحديد . ولم يعرف النازيون أن بعض هذا النفط كان يُستخدم لتشغيل قوارب حرس السواحل البريطانية التي كانت تطارد القوات البحرية الألمانية المحاصرة لاسكندنافيا .

عندما دخلت أمريكا الحرب رسمياً بعد الهجوم الياباني على مرفأ بيرل ، تعرّض إريكسون إلى ضغوط أشدّ . لأنّ بعض أقربائه في الولايات المتحدة قطعوا صلتهم مع «محب النازيّة» . وتحرّى رجال الغيستابو عنه مرة ثانية ، حتى أنهم جمعوا سجلاته من جامعة كورنل حيث أخذ شهادة الهندسة منها في عام ١٩٢١ . لكنّه استطاع مرة أخرى من إزالة شكوكهم ، وقام خلال عام ١٩٤٢ بعدّة رحلات إلى ألمانيا ـ ورافقه في بعض الأحيان الأمير كارل . وبدأ أيضاً بزيارة البلدان الواقعة تحت الإحتلال النازي ، ليتفحص معامل تكرير البترول التي سيطر عليها الرايخ الألماني وفي ١٢ حزيران تمّ العمل لأوّل مرّة حسب المعلومات التي قدّمها . إذ أقلعت المقاتلات الأمريكية نوع ب ـ ٢٤ القاذفة للقنابل من مصر لمهاجمة قاعدة نفط حيويّة في بلويستي برومانيا . وأمضى رجل الأعمال الجاسوس بعد ذلك ساعات من الطيران المتواصل خلال تنقلاته من وإلى ألمانيا ، في أثناء قصف سرية القوى الجوية الأمريكية لمعامل تكرير النفط في هامبورغ وهانوفر ومارينبرغ ولودفيغشافن . وأغارت ١٧٧ طائرة مقاتلة قاذفة للقنابل مدينة بلوستي ثانية خلال صيف عام ١٩٤٣ . وقدّم إريكسون وشبكته تقاريراً تضمنت أنهم استطاعوا تقليل حجم تكرير النفط في المعامل إلى أكثر من ٤٠ بالمئة .

كان إريكسون يغامر بحياته . فبعيداً عن إمكانية موته أثناء قصف الطائرات التي كانت مخابراته توجهها ، كان هناك الخوف الدائم من أن يتعرّض للخيانة ، إمّا بغلطة غير متعمدة من أحد عملائه أو بالمصادفة فيقع في قبضة الغيستابو . ووقع ما كان يخشاه عندما مات عميل الإتصال في هامبورغ أوتوهولتر ـ الذي كان أحد الرجال الذين طالبوا بورقة ضمان موقعة من إريكسون ـ فجأة . فكان على إريكسون أن يُسافر إلى ألمانيا ويستحصل على الدليل من خزينة المصرف قبل أن يجدها أصدقاؤه النازيين أو ابن المتوفى . واستغرقته تلك العملية يومين كاملين تلفت خلالهما أعصابه من كثرة ما بذل من جهد ومراوغة .

كان الخطر مُحدق بإريكسون ، والضغوط تتزايد عليه ، فلم يقدر أن يستريح للحظة . وعندما كان يجد نفسه مجبراً على مشاركة الغرفة في الفنادق المزدحمة مع مسافر آخر ، كان يتناول أقراصاً منشّطة ليبقى مستيقظاً ـ خشية أن يقع في أيدي أعدائه أثناء نومه . وقابل في أواخر عام ١٩٤٢ ماريان فان موليندوروف الجذّابة ،

التي كانت عميلة سرية أخرى للحلفاء . فأصبح مراسلها لتهريب الأسرار التي تعرفها إلى خارج ألمانيا ، وأعلمته بدورها عن الاتصالات المتعلقة بأمور النفط والتغيّرات السياسية . وتظاهرا في البداية بأنهما عشيقين ليبرّرا لقاءاتهما ، لكنهما فيما بعد لم يعودا بحاجة للتظاهر .

بدأت طائرات الحلفاء الحربية تقصف معامل تكرير النفط في الرايخ بأكمله . وتم إسقاط أكثر من ٢٥٠٠ طائرة ألمانية مقاتلة خرجت للتصدي لهم . ولما حصل نقص في طائرات سلاح الجو الألماني ، قلّ إنتاج النفط الألماني إلى النصف ، وتحوّل أكثر من ١٠٠٠٠٠ رجل إلى أعمال الإصلاحات . كان الدمار عاملاً رئيسيّاً وراء نجاح إنزالات اليوم ـ د والتقدُّم باتجاه برلين . لكنها عادت على إريكسون بمشكلة ؛ لأنّ الألمان لم يكن لديهم فائض من النفط ليبيعوه إلى السويد ، فلم يعد لديه عذر كالذهاب في جولات عمل . ومع هذا توصَّل إلى حل عبقري لتلك المشكلة . فبدلاً من شراء النفط ، فكّر بأن بامكانه أن يبيعه . وهكذا عرض أن يتم إنشاء معمل تكرير للبترول الخام في السويد ، في مكان آمن من قصف الطائرات القاذفة للقنابل ، لتزويد آليات الحرب النازيّة بالبترول اللازم .

أُعجب المسؤولون الألمانيون في استوكهولم بالملفات الموضوعة بعناية عن خطط واتفاقيات وهمية لتغطية مالية من جهات سويدية رسميّة . فأرسلوا الأوراق الى برلين ، ولحق بها إريكسون نفسه ليجتمع مع أصحاب الشأن الذين سيقرروا في هذا الموضوع . واستغرق وقتاً لإقناعهم ، واحتاج إلى القيام بعدّة جولات في العاصمة الألمانية . ثم عاد إلى تمبلهوف مرة ثانية في أواخر عام ١٩٤٤ ، ليمرَّ بأسوأ لحظة في حياته .

اقتاده رجال الغيستابو الذين كانوا بانتظاره كالعادة ، لكن في هذه المرّة لم يأخذوه إلى مقرهم الضخم في المبنى الثامن بشارع الأمير ألبير ، بل توجهوا به إلى معتقل موابات . اقتنع إريكسون أنّهم اكتشفوا عمله الجاسوسي ، وعرف كيف تعامل النازيون مع أولئك الذين خانوا ثقتهم في السابق . وشاهد برعب من نافذة الزنزانة الحارس وهو يلقم الرشاش بالطلقات في ساحة السجن . من ثمّ أخرجوه إلى الباحة المكشوفة ، ليكتشف بأنّه كان ضمن جماعة من الزوار الأجانب الذين اقتيدوا إلى ذلك المكان ليشهدوا بعض عمليات الإعدام الجماعية ، فهدأت نفسه .

لكن ما أن خرج السجناء المحكوم عليهم بالإعدام إلى ساحة السجن حتى انقبض قلبه هلعاً ، لأنّ ماريان فان موليندورف كانت بينهم .

تصارعت مشاعر الغضب والخوف في أعماقه . وتساءل في نفسه عما اذا عرف النازيون عن علاقته بها ؟ هل يمكن أن تعتقد ماريان بأنّه خانها ؟ هل كان بإمكانه فعل أي شيء لإنقاذها ؟ هل كان هذا كلّه خديعة للإيقاع به بالجرم المشهود ؟ التقت عيناه بعيناها ، لكنّ ماريان لم تُظهر أي بادرة تشير إلى أنها تعرفه . وتمالك إريكسون نفسه بالكاد ، وضبط أعصابه قسراً ، عندما وقفت بشموخ في الصف وأجبر نفسه على مشاهدتها بينما كانت طلقات الرشاش تحصدها مع المساجين الآخرين .

طوى إريكسون صفحة هذه الأحداث في اليوم التالي . وقبل نهاية الأسبوع ، أُذن له بمقابلة رئيس الإستخبارات هيملر ؛ للتحدث معه بشأن موضوع تكرير النفط الخام في السويد . كان واضحاً أن ديكتاتور الرايخ لم يكن تفكيره منطقياً ، لكن إريكسون تمكّن من إقناع مُحادثه بحاجة مصانع تكرير النفط الخام الألمانية لفحص شخصي منه لتحديد ما يلزمها في استوكهولم . فأُعطي جواز مرور سَمَح له بالتنقّل بحريّة عبر الأراضي الألمانية .

بدأ إريكسون جولته ، لكنّه اكتشف سريعاً أنّ رجال الغيستابو كانوا يلاحقونه كظله ، وكان من الأهمية بمكان تركهم يفعلون ذلك . ولم يكن من المفترض به كرجل أعمال أن يعرف عن أساليب الجاسوسية ، لكن التعليمات اقتضت بتغيير شكل مواعيد الإلتقاء . فكان عليه ترك المعلومات بشكل ملاحظات لا تثير الريبة على طاولات المطاعم ، أو تسليمها لرجال الإتصال أثناء لقاءات اعتباطية في زوايا الشوارع ، أو يهمس بها في أروقة الماخورات المظلمة . تخلى الحظ عن إريكسون في آخر المطاف في مدينة لايبزغ ، عندما تعرّف عليه النازي المتعصب فرانتس شرودر ، الذي تذكر موقف السويدي المؤيد لليهوديّة قبل الحرب . ودعاه إريكسون إلى حانة لشرب البيرة محاولاً أن يشرح له تغيّر آرائه ، لكنه لاحظ أن شرودر لم يقتنع بما قاله له . ولما افترقا ، عرف إريكسون أن الألماني كان سيُحذر الغيستابو . وكان من الضروري إسكاته بأي ثمن . لكن كان على الجاسوس أن يتخلّص من مراقبة الإستخبارات الألمانية أولاً .

تسلّل إريكسون خلسة من مدخل فندق قريب ، وقفز في سيارة أجرة ، وأبرز جواز المرور المعطى له من رئيس الغيستابو ، وطلب من السائق أن يذهب في الطريق الذي مشى فيه شرودر .. ثم لمحه بعد فترة قصيرة ، فدفع للسائق أجرته ولحق بالرجل مشياً على قدميه . ولما دخل شرودر غرفة هاتف عمومي، تسلّل إريكسون حتى صار قريباً منه . كان متأكداً بأن الألماني كان يخابر صديقاً له في الإستخبارات ليعلمه عن شكوكه . وقبل أن يدخل الرجل في التفاصيل ، هاجمه إريكسون بسرعة ، وغرز سكينه في رقبة الألماني من الوراء ، ثم أعاد سماعة الهاتف بهدوء . ومرت برأسه لحظتها ذكريات مصرع ماريان ، فهدّأ ذلك من روعه قليلاً ، وتمالك نفسه بطريقة ما من شعوره الطبيعي بالذنب لدى ارتكابه جريمة قتل للمرّة الأولى في حياته . وبينما تمدّدت الجثّة على أرضيّة غرفة الهاتف العمومي ، اختفى إريكسون في الزحام .

اتّصل السويدي بالأمير كارل مستخدماً الرمز الذي يُطلب في حالة الطوارىء بعد أنْ اقتنع بأنّ رجل الغيستابو الذي كان يلاحقه لن يستغرق وقتاً طويلاً في الربط بين الجثّة والرجل الذي قابله إريكسون .

واستلم بدوره برقية جاء فيها أن يحضر إلى استوكهولم على الفور . أرسل اعتذاره إلى هيلمر ، الذي كان متفقاً أن يلتقيه ثانية ، واستقلّ أوّل طائرة مغادرة لألمانيا . ووافق رؤساؤه الأمريكيين على أنّه لا يمكن أن يُخاطر بالذهاب في رحلات أخرى . لكنّه كان قد قام بما يكفي مسبقاً .

تَتابع الهجوم بالقنابل على قوّات هتلر . وكانت مصانع المواد الكيميائيّة التي استطلعها إريكسون هي الأهداف في هذه المرة . ثم تراجع النازيون عبر أوروبا ، مخلفين وراءهم المدرعات والشاحنات وسيارات الجيب لتوفير النفط . وأوقف سلاح الجو الألماني فترة تدريب الطيارين والإختبارات ، التي كانت تجري على محركات الطائرات ، لنفس السبب . مما أدى إلى نتائج مأساوية .

نفذت المواد الأولية التي تُصنع منها القذائف والقنابل من المعامل التي تستخدم المواد المصنوعة بآلات تدار بالبترول التركيبي . وقرأ أريكسون وأنغريد جميع التقارير التي قدمها الحلفاء سلفاً في استوكهولم ، وكانت سعادتهم بالغة عندما استسلم الألمان في ٧ أيار ١٩٤٥ . لكنهم بقوا مُقاطعين شهراً آخر . وبعدها دُعي

نخبة المجتمع السويدي الى حفلة في السفارة الأمريكية . وبينما كانوا يشربون الكوكتيل ، تم الإعلان عن ضيوف الشرف في الحفلة ـ ودخل إريكسون والأمير كارل . وتحوّلت صدمة الإشمئزاز وأصوات الإستنكار إلى اعتذارات جماعية عندما تمّ الكشف أخيراً عن الحقيقة التي كانت وراء موقفهم المساند للنازيّة . ونشرت الصحف خلال الأيام التالية في جميع أنحاء العالم مقالاتٍ تشيد بأعمال الأبطال السريين الذين فعلوا الكثير لسحق هتلر .

(١) ـ الديكتافون : أداة فوتوغرافية تسجّل ما يُملى عليها من كلام بحيث يكون في الإمكان سماعه بعد ذلك .

ساعدت مخططات القنابل الأمريكية السرية على قيام القوات الجوية الألمانية بغارات جويّة مفاجئة ومدمرة على لندن والمدن الأخرى خلال معركة بريطانيا . وكان النازي المتعصّب هرمان لانغ وراء سرقة تلك المخططات أثناء عمله بأشغال الهندسة العسكرية في جزيرة لونغ ، وسلّمها إلى عميل للجيش الألماني في الولايات المتحدة . فمنح المارشال هيرمان جيورينغ ، قائد سلاح الجو الألماني ، لانغ ١٠٠٠٠ مارك . لكن لانغ وقع في الأسر بعدما انخرط جاسوس تابع لوكالة الإستخبارات الأمريكيّة مع الإستخبارات النازيّة في أمريكا ، وتمّ سجنه لمدة ١٤ سنة في عام ١٩٤١ . وعاد إلى بافاريا في عام ١٩٥٠ .

استطاع خبراء الشيفرة الأمريكيين فكّ الرموز الامبراطورية اليابانية المرسلة باللاسلكي بعد كارثة مرفأ بيرل . ومكنتهم في شهر أيار من عام ١٩٤٢ من الأخذ بثأرهم واستعادة زمام الحرب إلى أيديهم في المحيط الهادي . وعلم الأدميرال تشيستر نيميتز عن الغزو الياباني المخطط له على جزيرة أُشير إليها بالرمز أ ف . كان متأكداً أنّ الهدف كان ميداوي ، لكنه أراد إثباتاً آخر ، فأمر القائد العسكري في تلك المنطقة أن يتصل بمقر القيادة باللاسلكي أنّه يعاني من نقص في مخزون المياه . وبعد ثلاثة أيام ، اكتشف مسؤولوا الإتصالات اللاسلكية نقص المياه في المنطقة المستهدفة ، أف . وعندما وقع الهجوم ، أوقعت التعزيزات العسكرية الأمريكية هزيمة ساحقة بالقوات المهاجمة .